ضوابط ومعايير الوسطية في المنهج الإسلامي

سلطان بن علي بن ثابت الجرادي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ضوابط ومعايير الوسطية في المنهج الإسلامي

وكتبه: أبو همام /

سلطان بن علي بن ثابت الجرادي

المقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، بحمده تتم الصالحات، نحمده على ستره وعفوه، ونحمَدُهُ على شرعه ويسره، كما نحمده على آلائه وفضله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير العباد قولاً وعملاً، وأوسطهم نسباً وشرفا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما..أما بعد:

فإن من رحمة الله عز وجل بهذه الأمة أن بعث فيها أفضل رسله خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه أفضل كتبه وأكملها وأقومها وأشملها لخيري الدنيا والآخرة.

والمتأمل في كتاب الله، وسنة رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم – لا يخفى عليه ما تضمنه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – من الهدى والرحمة والشمول لكل مصالح العباد، مع مراعاتهما لكل جوانب النفس البشرية ومخاطبتها بمنهج متوازن، وميزان قسط وعدل لا يطغى فيه جانب على جانب، ولا يرجح فيه طرف على آخر. وإن من أبرز سمات هذا المنهج الرباني الهادي للتي هي أقوم أنه متسم بالشمول والتوازن والوسطية والعدل؛ ولذلك امتن الله عز وجل على هذه الأمة التي أنزل إليها كتابه الكريم ومنهجه القويم بقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [1].

فلفظ (الوسطية) من الألفاظ الشائعة التي تحمل مدلولات كبيرة، هذه الكلمة نسمعها كثيراً في نصوص القرآن، وفي عبارات المثقفين، بل سميت بذلك مؤسسات وتوجهات.

وكل أولئك: مجمعون على مدح الوسطية وعدّها عَلَمًا على ما يرونه حسنًا من التصرفات والتوجهات، والآراء والأفكار.

ولكن كلمة (الوسطية) أصبحت من الألفاظ التي يحملها كل قوم على ما يريدون مما يرغبون ويحبون من المبادئ والآراء والأفكار، ويسلبون هذا الوصف عمن يبغضون أو يخالفون.

- فمنهم من فهم أن الوسطيَّة تعني التَّنازل والتَّساهل، فإذا رأوا مسلمًا قد التزم الصّراط المستقيم، وسار على هدي النبوَّة، قالوا له: لماذا تُشدِّد على نفسك وعلى الآخرين ودين الله وسط؟ ولذلك نجد هذا كثيرا في واقعنا المعاصر ممن رُموا بالغلوّ، والله المستعان؛ وسبب ذلك الجهل بحقيقة الوسطيَّة.
- وفي المقابل نجد فئة من المتحمِّسين المندفعين، يصفون أصحاب المنهج الحقّ، الذين لم يوافقوا هؤلاء على أفكارهم، ولم يسايروهم في حماسهم واندفاعهم يصفونهم بالتَّساهل والتَّهاون. ومنشأ ذلك – أيضًا – جهلهم

[1] البقرة:١٤٣.

بحقيقة الوسطيَّة، مع أنهم يدَّعونها، لكنهم لا يفهمونها على وجهها الصحيح ومعيارها المنضبط.

- وهناك فئة ثالثة ليست من هؤلاء ولا أولئك، وهم حريصون على الالتزام بالمنهج الصحيح، ولكنَّهم يقعون في أخطاء أثناء ممارستهم للدعوة قولا أو فعلا، وسبب هذا الأمر عدم تصورهم لمنهج الوسطيَّة تصورًا شاملا، وقصرهم هذا المنهج على بعض آحاده..

وابتغاء تحرير هذا الأمر، والوصول إلى إجابة عن سؤال هذا البحث؛ أحب أن أقدم بمقدمة تتعلق بالألفاظ والمصطلحات:

إن العلم بحقائق الأشياء، والوعي بالمفاهيم يعد مدخلًا رئيسًا لتضييق دائرة الخلاف أو إزالته، إذ تجد جذور الخلاف عائدة في كثير من الأحوال إلى اختلاف المفاهيم، أو الجهل بحقائق الأمور، وهذا أمر يقع في كل الأمم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (إن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلًا عن أن يعرف دليله)[1]

فتحديد المعاني مطلب أساسي لوضوح المراد، وتضييق دائرة الاختلاف، وليس منشأ الخطأ في الفهم إلا الغلط في تحديد الألفاظ أو غموضها وتعقيدها، والتباسها. وفي المأثور من أقوال العلماء (الحكم على الشيء فرع عن تصوره)[2]

ولذلك عَنِيَ العلماء المسلمون بالألفاظ الشرعية، والمصطلحات الإسلامية اهتماما بالغًا وحرصوا على تحديدها، وجعلوا المرجع في بيان معاني تلك الألفاظ إلى أمرين:

الأول: اللغة التي تكلم بها.

الثاني: مقصود الشارع من تلك الألفاظ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك)[3].

وفهم مراد الشارع بالألفاظ إنما يكون بمعرفة عادته في الخطاب، بجمع النصوص والنظر فيها.

يقول ابن تيمية – رحمه الله –:(ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث)[4]

---

[1] – انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٤)

[2] – قول مشهور في كتب أهل العلم لم أقف على اسم قائله

[3] – انظر مجموع الفتاوى (٧/ ١١٦)

[4] – الفتاوى لابن تيمية (٧/ ١١٥).

ومما يؤكد أهمية الرجوع إلى قصد الشارع عند الاختلاف في المعنى الشرعي ما يلي:

١- إن من المتفق عليه عند الاختلاف سواء في الأحكام أم المعاني رد الأمر إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [١].

خصوصًا إذا كان اللفظ المختلف فيه منسوبًا إلى الدين، مثل قضية هذا البحث (الوسطية..) إذ نسبته إليه تؤكد أهمية مراجعة نصوصه؛ لفهم الحقيقة وتصورها تصورًا سليمًا، ومن ثم يكون الحكم في ضوء ذلك.

٢- إن الألفاظ والمصطلحات التي وقع فيها الخلاف - مثل: الوسطية - لا بد فيها من الرجوع إلى معيار ثابت؛ إذ لو وكلت القضية إلى البشر لأصبحت نسبية بحسب اختلاف أهوائهم، ومشاربهم، وانتماءاتهم، واتباع الهوى يفضي لاختلاف غير متناه، وفساد غير منقوص ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [٢].

فثبات المعيار الذي ينظر بواسطته، وتفهم الحقائق في ضوئه أمر لا محيد عنه، وتركه يفضي إلى فساد عريض.

- والنتيجة التي نتوصل إليها من ذلك كله أن هذا المنهج بحاجة إلى تفصيل وبيان، لا لخفائه في ذاته، بل هو أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن خفاءه من الأمور النسبيَّة التي تعود إلى بُعد كثير من الناس عن منهج القرآن والسنة، وضعف حصيلتهم العلميَّة، وممارستهم التعبديَّة والدعويَّة.

والخلاصة أنَّ هذا البحث معنيٌّ بإيضاح مفهوم الوسطيَّة، وتحديد مدلولها، وتبيين ضوابطها ومعيارها في ضوء منهج الاسلام، تعريفًا وتأصيلا، وتحديدًا، وتطبيقًا.

فما كان فيه من صواب فمن الواحد المنان، وما كان فيه من خطأٍ أو سهوٍ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله، واللهَ أسأل أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.. إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه / أبو همّام:

سلطان بن علي بن ثابت بن حسن الجرادي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين والمسلمات...آمين

---

١ - النساء:٥٩.

٢ - المؤمنون:٧١.

مخطط البحث

المبحث الأول: تعريف الوسطيَّة،

واشتمل هذا المبحث على ما يلي:

١- الوسطيَّة في اللغة.

٢- القرآن الكريم يقرر منهج الوسطية

٣- السنة النبوية تقرر منهج الوسطية

٤- تحرير معنى الوسطيَّة.

المبحث الثاني: أسس فهم الوسطيَّة،

واشتمل على ما يلي:

١- مقدمة لهذا المبحث.

٢- الغلو والإفراط.

٣- الجفاء والتفريط.

٤- الصّراط المستقيم.

المبحث الثالث: بيان ضوابط الوسطيَّة وفق منهج الاسلام،

واشتمل هذا المبحث على الضوابط التالية:

١- الخيرية

٢- الاستقامة

٣- اليسر ورفع الحرج

٤- البينيَّة

٥- العدل والحكمة ثم ذكرت بعد ذلك دليلا تطبيقيًّا يجمع هذه الملامح والضوابط ثم ختمت بأهمَّ مباحث هذا البحث، وهو بيان المعيار والمقياس العام للوسطية الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم،والذي به نعرف ونُميز الوسطية عن غيرها، وبالجملة فإن هذه المباحث تعتبر أركانًا أساسيَّة، ومنطلقات منهجيَّة لمعرفة حقيقة الوسطيَّة في حدودها وضوابطها الشرعيَّة، بل إن مضمون تلك المباحث هو المعيار الذي نستطيع من خلاله أن نعرف هل هذا الأمر وسطيًا أو هو يتضمَّن إفراطًا أو تفريطًا؟

ومن الله استمدّ العون وأسأله التّوفيق والسّداد..

المبحث الأول: تعريف الوسطيَّة:

أولا: الوسطيَّة في اللغة: جاءت كلمة (وسط) في اللغة لعدّة معانٍ، ولكنها مُتقاربة في مدلولها عند التأمّل في حقيقتها ومآلها، منها ما يلي:

- يقول ابن فارس – رحمه الله –:(الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدلُّ على العَدل والنِّصف. وأعْدلُ الشَّيءِ: أوسَطُه ووَسَطُه. قال الله عزّ وجلَّ: ﴿أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [1][2].
- ووسَطُ الشيء بالفتح: ما بين طرَفَيْه، وتأتي – بالفتح أيضًا – صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجودَ فوسط الشيء أَفضله وخياره كوسَط المرعى خيرٌ من طرفيه ومرعى وسط أي: خيار. ووسَط الدابة للركوب خير من طرفيها، وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها، ورجل وسط ووسيط: حسن [3]
- وتكون ظرفًا بمعنى (بين)، تقول: جلست وسْط القوم، أي: بينهم، ومنه قول سوار بن المضرب:

إنيّ كأنِّي أرى من لا حياء له... ولا أمانة وسْط النَّاس عُريانًا [4].

والعرب تصف فاضل النّسب بأنه وسط في قومه، وفلان من واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهو من أوسط قومه، أي من خيارهم وأشرافهم [5].

ثانياً: القرآن يقرر منهج الوسطيَّة

نزل القرآن الكريم هدايةً للنّاس ونورًا، يُخرج به الله من شاء من الظّلمات إلى النور، ولزوم منهج الوسطيَّة عين الهداية، وحقيقتها، ولذلك فقد جاءت الآيات مستفيضةً ترسم منهج الوسطيَّة وتدلّ عليه..أذكر منها ما يلي:

١– قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[6].

ومعنى وسطًا هنا: أي: عدولًا خيارًا، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [7].

---

[1] [البقرة ١٤٣].

[2] معجم مقاييس اللغة:٦/ ٨٢، مادة (وسط).

[3] انظر: لسان العرب مادة (وسط) (٧ / ٤٢٧، ٤٣٠)، والصحاح مادة (وسط) (٣ / ١١٦٧)

[4] انظر: المرجع السابق نفسه لابن منظور مادة (وسط).

[5] انظر القاموس المحيط مادة (وسط) (٢ / ٣٩١)، وتهذيب اللغة مادة (وسط) (١٢ / ٢٦).

[6] البقرة:١٤٣

[7] آل عمران:١١٠

والقرآن يفسر بعضه بعضًا، بين وصف الأمة بالخيرية، ووصفها بالوسطية، إذ أن الوسط في لغة العرب: الخيار.

يقول الشنقيطي – رحمه الله– في الآية السابقة:(وَسَطًا أي: خيارًا عدولًا، ويدل لأن الوسط الخيار العدول قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وذلك معروف في كلام العرب، ومنه قول زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم** إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم)[1].

- يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هنا الخيار والأجود... ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب.[2]

والله تعالى – إنّما وصفهم بأنَّهم وسط لتوسّطهم في الدّين، فلا هم أهل غلوّ فيه، غلوّ النَّصارى الذين غلوا بالتَّرهُّب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربِّهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها.[3] فلهذه الأمّة من الدّين أكمله، ومن الأخلاق أجلّها، ومن الأعمال أفضلها، فوهبهم الله من العلم والحِلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا: ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ كاملين معتدلين، ليكونوا: ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ بسب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على النَّاس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم(٤)

٢– **آية سورة القلم** قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [5] يعني أعدلهم

قال ابن عباس: أوسطهم: أعدلهم، وبمثل ذلك قال مجاهد، وسعيد، والضّحّاك. وقال قتادة: أي أعدلهم قولا، وكان أسرع القوم فزعًا، وأحسنهم رجعة [6]. وقال القرطبي: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي: أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم [7]. – وقال ابن كثير:﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ (القلم: من الآية ٢٨) قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة،

---

[1] أضواء البيان: ١/ ٨٧

[2] تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ج١، ص ١٨١

[3] انظر الوسطية في ضوء القران الكريم ص١٣

[4] انظر: تفسير كلام المنان (١ / ١٥٧).

[5] القلم: من الآية ٢٨

[6] انظر: تفسير الطبري (٢٩ / ٣٤).

[7] انظر: تفسير القرطبي (١٨ / ٢٤٤).

ومحمد بن كعب، والربيع بن أنس، والضّحاك، وقتادة: أي أعدلهم وخيرهم ([1]). وقال ابن الجوزي: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ (القلم: من الآية ٢٨) أي أعدلهم وأفضلهم [2]. **مما سبق** يتبيّن لنا أن الوسطية تعني العدل(الوسط)، بمعنى أنه لا إفراط ولا تفريط، ولا غلوّ ولا تقصير، ولا تنطُّع ولا انفلات فأمَّة الإسلام وسط بكل معانيه، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه الماديّ والحسيّ. أمَّةً وسطًا في التصوّر والاعتقاد،وفي التّفكير والشّعور، أمَّةً وسطًا في التَّنظيم والتَّنسيق، أمة وسطًا في الارتباطات والعلاقات، أمَّةً وسطًا في الزَّمان، أمَّةً وسطًا في المكان، أمَّةً وسطًا في جميع مجالات وشؤون الحياة.

ثالثاً: السنة النبوية تقرر منهج الوسطية

السنة شارحة للقرآن، ومبيّنة له، وقد وردت بعض الأحاديث التي فيها الدّلالة على معاني الوسطية فسأذكر بعضاً منها مع توضيح المراد حسب سياق الحديث..

١- عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا ربّ، فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأمَّته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير! فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمَّته، فيشهدون أنَّه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله – جلَّ ذكره –: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ والوسط: العدل.[3]

والمراد بهذا الحديث واضح، وهو أن الوسط فُسِّر هنا بالعدل، وهو المقابل للظّلم، حيث إن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم شهدوا بما علموا، ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ [4] وهو الحق، فلم تكن شهادتهم لِهوًى مع نوح، عليه السلام – وحاشاهم من ذلك – ولم يشهدوا مع قوم نوح بالباطل، وأنّى لهم ذلك، وهذا هو العدل، لأنَّ الظّلم له طرفان والعدل وسط بينهما، فالشَّهادة مع أحد الخصمين بدون حق ظلم، والشّهادة بالحقّ دون النّظر لصاحبه عدل، فأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ممّن قال الله فيهم:﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[5].

٢- عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « ثلاث من فعلهنّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده، وعلم أنَّه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيّبة بها نفسه، رافدة عليه كل

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٤٠٦).

[2] انظر: زاد المسير (٨ / ٣٣٨).

[3] رواه البخاري برقم:٤٢١٧.

[4] (يوسف: من الآية ٨١).

[5] (الأعراف:١٨١).

عام، ولم يعط الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشّرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإنَّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه »[1]. والوسط هنا ما بين أجود الغنم وبين السيئ والمعيب، وهو مثل قوله – تعالى –: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾[2].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطّ خطًّا، وخطَّ خطَّين عن يمينه، وخطَّ خطَّين عن يساره، ثم وضع يده على الخطّ الأوسط، فقال: "هذه سبيل الله"، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[3] »[4]. والوسط هنا: هو الشيء بين الشيئين، متوسّط بينهما. ونجد بيان هذا الصّراط في الحديث الآتي:

٣- عن النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « ضرب الله مثلا صراطًا مستقيمًا، وعلى كَنَفي الصّراط سوران فيهما أبواب مفتّحة، وعلى الأبواب ستور مُرخاة، وعلى الصّراط داعٍ يدعو يقول: يا أيّها النّاس اسلكوا الصّراط جميعًا، ولا تعوجّوا، وداع يدعو على الصّراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه فإنّك إن تفتحه تلجه، فالصراط: الإسلام، والسّتور حدود الله، والأبواب المفتّحة محارم الله، والداعي الذي على رأس الصّراط كتاب الله، والدّاعي من فوقه واعظ الله يذكر في قلب كل مسلم » [5].

٤- وقال صلى الله عليه وسلم « إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السَّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنَّه أوسط الجنَّة، أو أعلى الجنة »[6]. قال الحافظ ابن حجر: قوله: « أوسط الجنة أو أعلى الجنة » المراد بالأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [7]

٥- وقال صلى الله عليه وسلم « البركة تنزل وسط الطّعام، فكلوا من حافَّتيه،ولا تأكلوا من وسطه »(٨) والوسط

---

[1] أخرجه أبو داود (٢ / ١٠٣، ١٠٤) رقم (١٥٨٢)، والطبراني في الصغير ص (١١٥)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٤١) والسلسلة الصحيحة رقم (١٠٤٦).

[2] المائدة: من الآية ٨٩.

[3] سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

[4] أخرجه ابن ماجه رقم (١١)، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة رقم١١/٦.

[5] أخرجه أحمد برقم (١٧١٨٢) والحاكم في المستدرك (١ / ٧٣). وقال: صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علّة، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. قال الألباني: وهو كما قالا، انظر: المشكاة رقم (١٩١). وخرجه الألباني أيضا من طريق ابن مسعود مع تغيير بسيط في بعض ألفاظه، وقال: صحيح. انظر صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم: (٢٣٤٨).

[6] أخرجه البخاري (٣ / ٢٠٢). والترمذي (٤ / ٥٨٢) رقم (٢٥٣٠).

[7] انظر: فتح الباري (٦ / ١٣).

[8] أخرجه الترمذي برقم (١٨٠٥). وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (٢ / ١٠٩٠) رقم (٣٢٧٧). وأحمد (١ / ٢٧٠، ٣٤٣، ٣٦٤)، والحديث صححه الألباني في الجامع الصحيح سنن الترمذي (١٨٠٥/٢٦٠).

هنا: نقطة الالتقاء بين أطراف متساوية. أو هو أشبه ما يكون بمركز الدّائرة ومنتصفها.

٦- وقال صلى الله عليه وسلم « أنا زعيم ببيت في رَبَضَ الجنَّة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنَّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقُه » [١]. والوسط هنا ما كان بين الرّبض والأعلى. هذه بعض الأحاديث التي وردت، وفيها لفظ (الوسط).وقد دلت وفسرت لنا معنى الوسطية في منهج الإسلام.

رابعاً: تحرير معنى الوسطيَّة

من خلال ما سبق اتَّضح لنا أن كلمة (وسط)، تستعمل في معانٍ عدَّة أهمّها:

- بمعنى الخيار والأفضل والعدل.
- قد ترد لما بين شيئين فاضلين
- وتستعمل لما كان بين شرّين وهو خير.
- وتستعمل لما كان بين الجيّد والرديء، والخير والشَّرّ.

وقد تُطلق على ما كان بين شيئين حسًّا، كوسط الطّريق، ووسط العصا. وقد تأتي لمعانٍ أخرى قريبة من هذه المعاني،والمهمّ – هنا – متى يُطلق لفظ (الوسطيَّة)؟ بل على ماذا يُطلق هذا المصطلح؟ قال فريد عبد القادر:ومن جملة ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص تعريفًا خاصًّا محدّدًا للوسطيَّة، فنقول: بأن الوسطيَّة هي: مؤهل الأمة الإسلامية من: العدالة، والخيريّة للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجَّة عليهم [٢].

مثال ذلك: عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « ثلاث من فعلهنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده، وعلم أنَّه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيّبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرة ولا المريضة، ولا الشّرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإنَّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه »[٣]. وهنا نجد أن الوسطيَّة واضحة في هذا التَّوجيه النبويّ، من خلال ما يلي:

١- أمر الرَّسول، صلى الله عليه وسلم بذلك دليل على هذه الخيريَّة، فلا يأمر، صلى الله عليه وسلم إلا بخير، ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾[٤] وهل أمرُ الرسول، صلى الله عليه وسلم إلا وحي يُوحى؟.

٢- أنَّنا عندما نُريد أن نستخرج معنى الخيريَّة لا ننظر من طرف واحد فقط، فإذا نظرنا إلى مصلحة الفقير

---

[١] أخرجه أبو داود (٤ / ٢٥٣) رقم (٤٨٠٠) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (١٤٦٤).

[٢] انظر: الوسطيَّة في الإسلام ص (٣٠).

[٣] سبق تخريجه.

[٤] الأعراف من الآية ٢٩.

فقط قلنا: إنَّ الخيريَّة في السّمينة السّليمة الأفضل مما هو من أجود الأغنام وأغلاها. وإذا نظرنا إلى خيريَّة الغني – في الدنيا – قلنا إن الأسهل عليه أن يُخرج الضعيفة الهزيلة ونحوها. ولكن الخيريَّة الكاملة أن ننظر إلى مصلحة الفقير ومصلحة الغني – صاحب المال – جميعًا، دون ترجيح لإحدى المصلحتين على الأخرى، وهذه هي الوسطيَّة، وذلك باستخراج ما بين أفضلها وأضعفها – وهي الوسط – وذلك مثل قوله – تعالى –: ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ [1]، ومن هنا اتَّضح لنا التَّلازم بين الخيريَّة والبينيَّة في تحقيق معنى الوسطيَّة.

[1] المائدة: من الآية ٨٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني: أسس فهم الوسطيَّة:

مقدمة

بعد استعراض ما سبق من الأدلة وأقوال أهل العلم؛ يتبين لنا فهمٌ واضحٌ محددٌ لمعنى الوسطية المذكورة في صفة هذه الأمة في كونها أمة وسطًا، وهذا الفهم يتحدد في معنيين هما: الأول: الخيرية والأفضلية. الثاني: التوازن والعدل والقيام بالحق، والبينية بين الإفراط والتفريط.

وإيضاحًا لحقيقة الوسطية، وكشفًا لحدودها ومعالمها يحسُن بنا أن نذكر طرفي الوسطية وذلك أن لها طرفان مذمومان يكتنفان الوسط والعدل. أحدهما: ينزع إلى الغلو والإفراط. والآخر: ينزع إلى التفريط والجفاء.

قال رشيد رضا في تفسيره: " قالوا إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزّيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنّقص عنه تفريط وتقصير، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي: المتوسّط بينهما "[1].

وفي هذا المعني يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى: "... وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان"[2]. ويحسن بنا في هذا المقام أن نتعرض لمفهوم الغلو والإفراط، ومفهوم الجفاء والتفريط فإذا عرفنا هذا سَهُل علينا تمييز الوسط والعدل بينهما.

أولاً: الغلو والإفراط:

أما الغلوّ فقد عرَّفه أهل اللغة بأنَّه مجاوزة الحدّ، فقال ابن فارس: غلوّ: الغين واللام والحرف المعتلّ: أصل صحيح يدلّ على ارتفاع ومجاوزة قدْر، يُقال: غلا السّعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرَّجل في الأمر غلوًّا، إذا جاوز حدَّه، وغلا بسهمه غلوًّا إذا رمى به سهمَّ أقصى غايته [3]. وقال الجوهريُّ: وغلا في الأمر يغلو غلوًّا، أي جاوز فيه الحدّ [4]. وقال في لسان العرب: وغلا في الدّين والأمر يغلو غلوًّا: جاوز حدَّه، وفي التّنزيل: ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (٥)، وفي الحديث: « إيّاكم والغلوّ في الدّين » [6] أي: التشدّد فيه ومجاوزة الحدّ. ويقال للشيء إذا ارتفع: قد

---

[1] انظر: تفسير المنار (٢ / ٤).

[2] انظر: مدارج السالكين٢/١٠٨

[3] انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (غلو) (٤ / ٣٨٧).

[4] انظر: الصحاح مادة (غلا) (٦ / ٢٤٤٨).

[5] النساء: من الآية ١٧١

[6] أخرجه النسائي برقم (٣٠٥٧). وابن ماجه برقم (٣٠٢٩) وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٨٣)، وصحيح الجامع رقم (٢٦٨٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

غلا، وغلا النَّبت: ارتفع وعظم [1]. هذا معنى الغلوّ في اللغة، وقد ورد في القرآن الكريم آيتان فيهما النَّهي عن الغلوّ بلفظه الصَّريح، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [2] قال ابن كثير: يَنهى تعالى أهلَ الكتاب عن الغلوّ والإطراء، وهذا كثير في النَّصارى، فإنَّهم تجاوزوا الحدّ في عيسى حتَّى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إيَّاها، فنقلوه من حيِّز النّبوَّة إلى أن اتَّخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل غلوًا في أتباعه وأشياعه، ممَّن زعم أنَّه على دينه، فادّعوا فيهم العصمة، واتَّبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًّا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا، ولهذا قال – تعالى –: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[3] [4].

أمَّا الآية الثانية فجاءت في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [5] قال الطبري: يقول: لا تُفْرِطوا في القول فيما فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحقّ إلى الباطل، فتقولوا فيه: هو الله، أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه [6]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والنَّصارى أكثر غلوًّا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطّوائف، وإيَّاهم نهى الله عن الغلوّ في القرآن [7].

- وقد وردت بعض الأحاديث التي تنهى عن الغلوّ، وذِكْرُ بعضها يساعد على فَهم المعنى أكثر، منها ما يلي:

١. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطّعون » قالها ثلاثًا [8]. قال النَّوويُ: هلك المتنطّعون: أي المتعمِّقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [9].

٢. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم كان يقول: « لا تشدّدوا على أنفسكم فيُشدِّد اللهُ عليكم، فإنَّ قومًا شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصَّوامع

---

[1] انظر: لسان العرب، مادة: «غلا».

[2] النساء: من الآية ١٧١

[3] التوبة: من الآية ٣١

[4] انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٩).

[5] المائدة:٧٧

[6] انظر: تفسير الطبري (٦ / ٣١٦).

[7] اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٢٨٩).

[8] أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٠).

[9] شرح مسلم للنووي (١٦ / ٢٢٠).

والدّيار ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾[1]» [2].

٣. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ هذا الدّين يُسر، ولن يُشادّ الدّين أحد إلا غلبه، فسدّدوا، وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة، وشيء من الدَّلجة » [3]. وفي لفظ: « القصد القصد تبلغوا » [4]. قال ابن حَجَر: والمعنى: لا يتعمّق أحد في الأعمال الدّينيَّة، ويترك الرّفق إلا عجز وانقطع فيُغلب [5]. وكلّ هذه الأحاديث تدلّ على أن الغلوّ خروج عن المنهج ومجاوزة للحدّ، وفعل ما لم يشرعه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولست بصدد ذكر الأحاديث التي تنهى عن الغلوّ وتذمّه فهي كثيرة جدًّا، ومن أشهرها قصَّة الثلاثة الذين جاءوا وسألوا عن عمل الرسول صلى الله عليه وسلم في السرّ، فكأنَّهم تقالّوا، فكان من مقولتهم ما هو معروف، وكيف واجه رسول الله، صلى الله عليه وسلم هذا الأمر [6]، وإنَّما اخترتُ هذه الأحاديث للدلالة على ما نحن بصدده، وهو تحديد معنى الغلوّ ومفهومه،ومن ثمَّ علاقته بالوسطيَّة..

وأختم تعريف الغلوّ بهذين التّعريفين:

- الأول: لشيخ الإسلام ابن تيمية: الغلوّ: مجاوزة الحدّ بأن يُزاد في الشيء في حمده أو ذمّه على ما يستحقّ ونحو ذلك [7].
- والثاني لابن حجر:الغلو: المبالغة في الشيء والتّشديد فيه بتجاوز الحدّ [8]. وضابط الغلوّ بيَّنة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، حيث قال: وضابطه تعدّى ما أمر الله به، وهو الطّغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ [9] [10]. وممَّا سبق من التَّعريف اللّغوي للغلوّ وما ورد فيه من آيات وأحاديث، وكذلك تعريف العلماء يتَّضح لنا أن الغلوّ هو: مجاوزة الحدّ في الأمر المشروع، وذلك بالزّيادة فيه أو المبالغة إلى الحدّ الذي يُخرجه عن الوصف الذي أراده وقصده الشَّارع.

---

[1] الحديد: من الآية ٢٧

[2] رواه أبو داود برقم ٤٩٠٤، وضعفه الألباني في سنن أبي داود برقم ٤٩٠٤/٢٧٦.

[3] أخرجه البخاري (١ / ١٥). والنسائي برقم (٥٠٣٤).

[4] أخرجه البخاري (٧ / ١٨١، ١٨٢)، وأحمد (٢ / ٥١٤).

[5] انظر: فتح الباري (١ / ٩٤).

[6] وهو حديث أنس المشهور في قصة الثلاثة.

[7] انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٢٨٩).

[8] انظر: فتح الباري (١٣ / ٢٧٨).

[9] طه: من الآية ٨١

[10] انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٢٥٦) والغلو في الدين ص (٨٢).

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الشأن أن الحكم على العمل بأنه غلو، أو أنَّ هذا المرء من الغُلاة، باب خطير، لا يقدر عليه إلا العلماء الذين يُدركون حدود هذا العمل، ويعلمون أبواب العقيدة وفروعها، لأنَّ الحكم على الشيء فرع عن تصوّره، فقد يكون الأمر مشروعًا ويوصف صاحبه بالغلوّ، وها نحن نرى اليوم أن الملتزمين بشرع الله، المتمسّكين بالكتاب والسنَّة يُوصفون بالغلوّ والتّطرُّف والتَّزمُّت ونحوها. ولذلك فإنّ المقياس في الحكم على الأعمال والأفراد والجماعات هو الكتاب والسنَّة، وليست الأهواء والأعراف، وما اعتاد عليه النَّاس، وقد ضلَّ في هذا الباب أُممٌ وأفراد وجماعات. وبعد أن تبيَّنَّ لنا معنى (الغلوّ) لغة وشرعًا، وما يتعلَّق به من معانٍ وأحكام، أبيِّن معنى (الإفراط) بإيجاز، كي تتضح صلته بالغلو:

الإفراط: لغة هو: التقدّم ومجاوزة الحدّ. قال ابن فارس: يُقال: أفرط: إذا تجاوز الحدّ في الأمر، يقولون: إيَّاك والفرط، أي لا تجاوز القدر، وهذا هو القياس، لأنَّه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن وجهته [1]. وقال الجوهري: وأفرط في الأمر: أي: جاوز فيه الحدّ [2]. قال – تعالى –: ﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ [3]. قال الطبري: وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي، يقال منه، أفرطت في قولك، إذا أسرف فيه وتعدَّى وأمَّا التَّفريط فهو التَّواني، يُقال منه: فرَّطت في هذا الأمر حتى فات، إذا توانى فيه[4].

ونخلص ممَّا سبق أن معنى الإفراط: تجاوز الحدّ، والتقدّم عن القدر المطلوب، وهو عكس التَّفريط – كما سيأتي–. ومن خلال ما سبق يتَّضح من تعريفَي الغلوّ والإفراط أنَّ كلا منهما يصدق عليه: تجاوز الحدّ، وقد فسَّر الغلوّ بالإفراط كما سبق،والذي يعنينا في هذا المبحث أن كلا من الغلوّ والإفراط خروج عن "الوسطيَّة" فكل أمر استحقّ وصف (الغلوّ) أو (الإفراط) فليس من الوسطيَّة في شيء.

ثانيًا: التفريط والجفاء:

بعد أن عرَّفنا معنى الغلوّ والإفراط، وما يدّل عليه كل منهما، نقف الآن مع ما يقابلهما، وهو: التَّفريط والجفاء.

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (فرط) (٤ / ٤٩٠).

[2] انظر: الصحاح مادة (فرط) (٣ / ١١٤٨).

[3] طه: من الآية ٤٥

[4] انظر: تفسير الطبري (١٦ / ١٧٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والتَّفريط في اللغة هو: التَّضييع كما في لسان العرب[1]. وقال الزَّجَّاج: ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [2]. أي كان أمره التَّفريط وهو تقديم العجز. وهو بالتخفيف: المسرف في العمل، وبالتّشديد المقصِّر فيه. وفرّط في الأمر يُفرِّط فرطًا، أي: قصَّر فيه وضيَّعه حتى فات، وكذلك التّفريط [3].

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم « أما إنَّه ليس في النوم تفريط » [4]. وإذن فالتَّفريط هو التَّقصير والتَّضييع والتَّرك. قال الجوهري: فرَّط في الأمر فرطًا: أي قصَّر فيه، وضيَّعه، حتى فات، وكذلك التَّفريط [5]

قال – تعالى –: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ [6]. قال الطبري: يقول: يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها[7].

وفي سورة الزمر: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [8].

قال الطبري: يقول: على ما ضيَّعت من العمل بما أمرني الله به، وقصَّرت في الدنيا في طاعة الله،وروي مثل ذلك عن مجاهد والسّدّي [9].

أما الجفاء: فقال ابن فارس: الجيم والفاء والحرف المعتلّ: يدلّ على أصل واحد: نبو الشيء عن الشيء، من ذلك: جفوت الرجل اجفوه، وهو ظاهر الجفوة، أي: الجفاء، وجفا السَّرج عن ظهر الفرس، وأجفيته أنا[10]. وللحديث: « اقرأُوا القرآنَ، ولا تَغْلُوا فيه، ولا تَجْفُوا عنه» [11]. أي تعاهدوه ولا تبتعدوا عن تلاوته. قال أبو عبيد في معنى الجفاء في الحديث: والجافي عنه التَّارك له، وللعمل به [12]. وفي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال، صلى الله عليه وسلم « الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النَّار » [13].

---

[1] لسان العرب، مادة (فرط).

[2] الكهف: من الآية ٢٨.

[3] المرجع السابق نفسه مادة (فرط).

[4] أخرجه مسلم (١ / ٤٧٣) رقم (٦٨١)، وأصحاب السنن.

[5] انظر: الصحاح مادة (فرط) (٣ / ١١٤٨).

[6] الأنعام: من الآية ٣١.

[7] انظر: تفسير الطبري (٧ / ١٧٨).

[8] الزمر:٥٦.

[9] انظر: تفسير الطبري (٢٤ / ١٩).

[10] انظر: مقاييس اللغة مادة (جفو) (١ / ٤٦٥).

[11] أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٤٢٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٣/٨).

[12] انظر غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ٤٨٣/٣.

[13] أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٩). وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٤١٨٤)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٢٠٠).

ومما سبق يتَّضح أن الجفاء هو النبوء والتَّرك والبعد، وهو غالبًا ما يحدث خلاف الأصل والعادة. وأكثر ما يرد الجفاء لما هو محظور ومنهيّ عنه، كالجفاء بما يقابل الصلة والبرّ، والجفاء الذي هو من الشّدة والغلظة، ونحو ذلك.

وهذه بعض الأمثلة التي يتَّضح فيها معنى التَّفريط والجفاء:

١- تأخير الصلاة عن وقتها: تفريط، ولذلك ورد في الحديث: « أمَّا إنّه ليس في النوم تفريط، إنَّما التَّفريط على من لم يصلّ الصّلاة حتى يجيء وقت الصَّلاة الآخر »[١].

٢- رؤية المنكرات وعدم إنكارها مع القدرة: تفريط.

٣- إهمال تربية الأولاد: تفريط.

٤- ترك الأخذ بالأسباب: تفريط.

٥- تأخير عمل اليوم إلى الغد - دون سبب -:تفريط.

٦- الغلظة في المعاملة: جفاء.

٧- عقوق الوالدين: جفاء.

٨- قطع الأرحام وعدم صلتهم: جفاء وتفريط

٩- عدم القيام بحقوق العلماء وضعف الصلة بهم: جفاء وتفريط. وبهذا يتبيَّن معنى التّفريط والجفاء، وأن بينهما عمومًا وخصوصًا. وهما يُقابلان معنى الغلوّ والإفراط.[٢]

والخلاصة: أنَّ كل أمرٍ اتَّصف بالتَّفريط أو بالجفاء، فإنَّه يُخالف الوسطيَّة، وبمقدار اتّصافه بأيّ من هذين الوصفين يكون بعده عن الوسطيَّة وتجافيه عنها.

ثالثًا: الصراط المستقيم:

بعد أن عرفنا مدلول الغلوّ والجفاء والإفراط والتَّفريط، نأتي للحديث عن الصّراط المستقيم. إنَّنا بدون فهم معنى (الصّراط المستقيم)، وتحديد مدلوله، لا نستطيع فهم (الوسطيَّة) على معناها الصّحيح ومفهومها الشامل، وقد ورد لفظ (الصّراط المستقيم)، في القرآن الكريم عشرات المرَّات، وجاء - أيضًا - بلفظ ﴿ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾[٣] و ﴿ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٤] و ﴿ صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾[٥] ونحو ذلك. ففي سورة الفاتحة نجد قوله - تعالى -: ﴿ اهْدِنَا

---

[١] جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (١ / ٤٧٣) رقم (٦٨١)، وغيره

[٢] انظر الوسطية في ضوء القرآن الكريم

[٣] النساء: من الآية ٦٨

[٤] الأعراف: من الآية ١٦

[٥] الأنعام: من الآية ١٥٣

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [1] ثم يفسّره بأنه: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [2]، وفي البقرة جاء قوله – تعالى–: ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [3]. وجاء بعد هذه الآية مباشرة: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [4].

هذه بعض الآيات التي وردت في "الصّراط" فما معناه؟ قال الطبري: في قوله – تعالى–: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أجمعت الأمّة من أهل التّأويل جميعًا على أنَّ الصّراط المستقيم هو الطّريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وقال ابن عباس: قال جبريل لمحمد، صلى الله عليه وسلم ((﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾)): يقول: ألهمنا الطّريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عَوِجَ له)) [5]. قال الطبري: وإنّما وصفه الله بالاستقامة، لأنَّه صواب لا خطأ فيه [6]. وقال أيضا: كل حائد عن قصد السّبيل، وسالك غير المنهج القويم فضالّ عند العرب، لإضلاله وجه الطّريق [7].

- **الصلة بين الوسطية والصراط المستقيم:**

مما تقدَّم يتَّضح أن معنى الصّراط المستقيم يدلّ على الوسطيَّة في مفهومها الشَّرعي الاصطلاحيّ الذي سبق تقريره، فالخيريَّة والبينيَّة ظاهرتان في هذا الأمر.

فنجد في سورة الفاتحة لما قال: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ عرَّفه فقال: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ثم حدَّده فقال: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فجعل الصّراط المستقيم طريق الخيار، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين،وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضّالين.

وبالتأمّل فيما سبق يتَّضح لنا ما يلي: – أنَّ الصّراط المستقيم: يمثل قمَّة الوسطيَّة وذروة سنامها وأعلى درجاتها.

- أنَّ المقياس لتحديد الخيريَّة هو الشرع، وليس هوى النَّاس أو ما تعارفوا عليه أو ألفوه، فإنَّ مفهوم الوسطيَّة عند كثير من الناس تعني التّنازل أو التَّساهل بل والمداهنة أحيانًا، حيث يختارون الأمر بين الخير والشرّ وهو إلى الشرّ أقرب في حقيقته ومآله، وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا.
- أنَّ هناك عوامل كثيرة، وأصولا معتبرة تجب مراعاتها عند تحديد مفهوم الوسطيَّة وتطبيقها على أمر من الأمور،

---

[1] الفاتحة:٦

[2] الفاتحة:٧

[3] البقرة: من الآية ١٤٢

[4] البقرة: من الآية ١٤٣

[5] انظر: تفسير الطبري (١ / ٧٣-٧٤).

[6] انظر: تفسير الطبري (١ / ٧٥).

[7] انظر: المرجع السابق نفسه (١ / ٨٤).

حيث إن قصر النظر على أمر دون آخر يؤدّي إلى خلاف ذلك ومجانبة الصّواب.

وخلاصة الأمر: أنَّه يجب عند النظر في أيّ أمر من الأمور لتحديد علاقته بالوسطية ومدى قربه أو بعده منها: دقَّة النّظر والاعتبار في حقيقة هذا الأمر دون الاقتصار على ظاهرِهِ فقط، ثم إلى أيّ هذه الأسس هو أقرب، مراعيًا في ذلك أمور عدَّة وضوابط منهجية -كما ستأتي - فإذا اتَّضح قربه في حقيقتِهِ ومآلِهِ إلى الصّراط المستقيم فهو داخل في الوسطيَّة التي نتحدث عنها، أمَّا إذا كان إلى الغلوّ أو الجفاء أو الإفراط أو التَّفريط أقرب حقيقةً ومآلاً فليس من الوسطيَّة في شيء، وإن حسبه النَّاس كذلك، وقد زلَّت في هذه المسألة عقول وأقدام.

المبحث الثالث: بيان ضوابط الوسطيَّة وفق منهج الاسلام:

هذه الضوابط هي بمثابة جواب سؤال هذا البحث.. ماهي ضوابط الوسطية في المنهج الإسلامي؟ وكيف نميز هذا الأمر عن غيره هل من الوسطية أو لا؟ وهي على النحو الآتي:

أولا: الخيريَّة:

قال الله – تعالى – في سورة البقرة: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [1] وقال في سورة آل عمران: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [2] وقد سبق أن ذكرت أن من معاني الوسطيَّة الخيريَّة، قال ابن كثير – رحمه الله –: والوسط هنا: الخيار والأجود، كما يقال لقريش أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي خيرها [3].

وفي تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال: يعني خير النَّاس للنّاس، والمعنى: أنَّهم خير الأمم وأنفع النَّاس للنَّاس، إلى أن قال: كما في الآية الأخرى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي خيارًا [4].

وممَّا سبق يتَّضح أن الخيريَّة ممَّا فسر به معنى الوسطيَّة التي ذكرها الله من خصائص هذه الأمَّة، فما هي هذه الخيريَّة التي نعرف بها وسطيَّة هذه الأمَّة؟

قال الطبري في تفسير آية الخيريَّة: وقال آخرون: معنى ذلك: كنتم خير أمَّة أُخرجت للنَّاس، إذ كنتم بهذه الشّروط التي وصفهم – جلّ ثناؤه – بها، فكان تأويل ذلك عندهم: كنتم خير أمَّة تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتُؤمنون بالله، أخرجوا للنَّاس في زمانكم [5].

قال رشيد رضا: والحق أقول: إنّ هذه الأمَّة ما فتئت خير أمَّة أُخرجت للنَّاس، حتَّى تركت الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، ثم قال: وقد بيَّن الفخر الرازي كون وصف الأمَّة هنا بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والإيمان علّة لكونها خير أمَّة أُخرجت للنّاس، فقال:

واعلم أنَّ هذا الكلام مستأنف والمقصود منه بيان علّة تلك الخيريَّة، كما تقول: زيد كريم، يطعم النَّاس ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم.

وتحقيق الكلام أنَّه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونًا بالوصف المناسب له يدلّ على كون ذلك الحكم

---

[1] البقرة: من الآية ١٤٣

[2] آل عمران: من الآية ١١٠

[3] انظر: تفسير ابن كثير (١ / ١٩٠).

[4] انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٣٩١).

[5] انظر: تفسير الطبري (٤ / ٤٤).

معلّلا بذلك الوصف، فهنا حكَم – تعالى – بثبوت وصف الخيريَّة لهذه الأمَّة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطّاعات، أعني الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والإيمان، فوجب كون تلك الخيريَّة معلّلة بهذه العبادات [1]

وقد وردت بعض الأحاديث التي تدلّ على خيريَّة هذه الأمَّة منها:

– ما رواه الترمذي في تفسيره لهذه الآية أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّكم تتّمون سبعين أمَّة أنتم خيرها وأكرمها على الله » [2]

– وقال صلى الله عليه وسلم « أُعطيت ما لم يُعط أحد من الأنبياء، فقلنا: يا رسول الله ما هو؟ فقال: نُصرت بالرّعب، وأُعطيت مفاتيح الأرض، وسمّيت أحمدَ، وجعل التّراب لي طهورًا، وجُعلت أمّتي خير الأمم » [3].

أبرز أوجه خيرية هذه الأمَّة:

- **الإيمان بالله:** قال – سبحانه –: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [4]. فقرن الله – جلّ وعلا – بين خيريَّة هذه الأمَّة والإيمان به – تعالى –، بل جعل الإيمان هو سبب الخيريَّة، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر فرع عن الإيمان، وأثر من آثاره.

فالإيمان علم واعتقاد وعمل، فمقتضى الإيمان بالله وكتبه ورسله، يستلزم العمل بما أمر به الله في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك فإنَّنا قبل أن نحكم بخيريَّة جماعة أو فرد أو عمل، لا بدّ من التّحقّق في توافر شرط الإيمان فيه بمعناه الشّامل المتكامل، فقد قال – سبحانه–: ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [5]. مع أنَّهم يدّعون الإيمان، ولكن العبرة بالحقائق لا بالدّعاوى [6].

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

---

[1] انظر: تفسير المنار (٤ / ٦٠).

[2] أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٠٠١)، وقال: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني كذلك في صحيح الجامع برقم ٢٣٠١.

[3] أخرجه أحمد (١ / ٩٨، ١٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم:٣٩٣٩.

[4] آل عمران: من الآية ١١٠

[5] آل عمران: من الآية ١١٠

[6] انظر الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص٩٧.

من خصائص هذه الأمَّة العمليَّة قيامها بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وهذه شهادة الله لها: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [1].

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أوجبه الله على من قبلنا، ولكنهم فرَّطوا وضيَّعوا ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [2]. ونجد مصداق خيريَّة هذه الأمَّة لقيامها بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، أنَّه منذ بُعِثَ رسول الله، صلى الله عليه وسلم إلى يومنا الحاضر وهذا الرّكن العظيم لم ينقطع ولم يترك كما فعل بنو إسرائيل. قد نجد ضعفًا في زمان من الأزمنة أو مكان من الأمكنة، ولكنَّه لا يصبح حالة مستقرَّة، ولا تعدم الأمَّة آمرًا أو ناهيًا ولو كانوا قلَّة قليلة، وهذا مصداق قول الرسول، صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم حتَّى يأتي أمر الله وهم كذلك » [3]

والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر له صفة الشّمول، فليس متعلّقًا بعمل معيّن، بل يشمل كل معروف وكل منكر، بينما سائر الأعمال نجدها أعمالا مخصوصة معينة، فالصيام يتعلّق بعمل مخصوص، والزّكاة والحج وغيرهما كذلك. ولذلك فهو يشترك مع الإيمان في صفة الشّمول، حيث إن الأمر بالمعروف يشمل جميع أبواب الإيمان والإسلام.

والرسول صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري: « من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » [4]. فجاء المنكر مُنَكّرًا هنا دلالة على عمومه، أي: أيّ منكر يراه المسلم، فهو يشمل كل منكر، كما أن الأمر يشمل كل معروف، فيدخل في ذلك جميع ما شرعه الله، فيؤمر به وينهى عن مخالفته [5].

وممّا سبق يتبيَّن لنا أن الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، من أبرز أوجه خيريَّة هذه الأمَّة، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، له صور متعدّدة، وليس محصورًا بحالة أو صفة واحدة كالكلام مثلا، بل قد يكون باليد أو اللسان أو العمل – كالقدوة مثلا – فمن صلّى أمام الناس لم يقوموا إلى الصلاة فهو داخل في الأمر بالمعروف، وإن لم يتكلّم، وكذلك من تصدَّق ليُقتدى به، فهو من الأمر بالمعروف، ومن خرج من مجلس فيه منكر فإنَّه من تغيير

---

[1] آل عمران: من الآية ١١٠

[2] المائدة:٧٨، ٧٩

[3] – أخرجه مسلم برقم (١٩٢٠). وأبو داود برقم (٤٢٥٢) وغيرهم.

[4] أخرجه مسلم (١ / ٦٩) رقم (٤٩).

[5] – انظر: تفسير المنار (٤ / ٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المنكر، ولو لم يتكلّم. ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [1]

وأضعف أبواب تغيير المنكر أن يكون في القلب كما ورد في الحديث.

فإنّه إذا تحقّق الإيمان بمعناه الشّامل المتكامل، وجاء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يحوطه ويحرسه، فإنّنا سنرى الخيريَّة التي أخبرنا الله بها ماثلة أمام أعيننا، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ثانياً: الاستقامة:

تعريف الاستقامة:

قال الراغب: استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم نحو: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ [2] [3].

وقال ابن القيّم: الاستقامة ضد الطّغيان، وهو مجاوزة الحدود في كل شيء [4].

وقال القرطبي: الاستقامة: الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ في جهة اليمين والشّمال [5].

وقال ابن القيم: قال عمر رضي الله عنه الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنّهي، ولا تَرُوغُ رَوَغَانَ الثّعالب [6].

وقال ابن القيم – أيضًا –: فأمر بالاستقامة وهي السّداد، والإصابة في النِّيَّات والأقوال والأعمال.

ثم قال: فالاستقامة: كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدّين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصّدق، والوفاء بالعهد [7].

أحاديث في الاستقامة:

- في صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: « قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟ قال: "قل آمنت بالله، ثم استقم » [8].

---

[1] الأنعام: من الآية ٦٨

[2] فصلت: من الآية ٣٠

[3] – انظر: المفردات للراغب مادة (قوم).

[4] – انظر: مدارج السالكين (٢ / ١٠٤).

[5] – انظر: تفسير القرطبي (٩ / ١٠٧).

[6] – انظر: مدارج السالكين (٢ / ١٠٤)،

[7] المرجع السابق نفسه (٢ / ١٠٥).

[8] – أخرجه مسلم (١ / ٦٥) رقم (٣٨). وأحمد (٣ / ٤١٣).

- وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: « استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصّلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » [1].
- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « سدّدوا وقاربوا، واعلموا أنَّه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل » [2].
- وفي مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتَّى يستقيم لسانه » [3].
- وفي رواية الترمذي عن أبي سعيد مرفوعًا وموقوفًا: « إذا أصبح ابن آدم فإنَّ الأعضاء كلّها تكفّر اللسان، فتقول: اتَّق الله فينا، فإنَّما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا » [4].

أقوال العلماء في الاستقامة:

- سُئل الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة فقال: ألا تشرك بالله شيئًا. قال ابن القيم: يريد الاستقامة على محض التّوحيد [5].

- وفي قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [6]، فسَّر السَّلف الاستقامة فقالوا: قال عمر رضي الله عنه استقاموا لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثّعالب.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه استقاموا: أخلصوا العمل لله.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه استقاموا: أدّوا الفرائض.

وبمثل ذلك فسَّرها ابن عباس رضي الله عنه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: استقاموا على محبّته وعبوديَّته، فلم يلتفتوا عنه يُمنة ولا يُسرة[7].

---

[1] – أخرجه ابن ماجه برقم (٢٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم:٩٥٢.

[2] – أخرجه البخاري (٧ / ١٨٢). ومسلم (٤ / ٢١٧٠) رقم (١٨١٦).

[3] – أخرجه أحمد (٣ / ١٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: ٢٥٥٤.

[4] – أخرجه الترمذي برقم (٢٤٠٧)، وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٥١).

[5] – انظر: مدارج السالكين (٢ / ١٠٤).

[6] فصلت:٣٠

[7] – انظر: تفسير الطبري (٢٤ / ١١٤)، ومدارج السالكين (٢ / ١٠٤).

- قال ابن القيم: الاستقامة تتعلّق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنِّيَّات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.
- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة [١].

وهذا الكلام عن الاستقامة هو عين الوسطيَّة وجوهرها.

ثالثا: اليسر ورفع الحرج

أولا تعريف اليسر والوسع:

قال الرازي: في معنى الوسع: إنَّه ما يقدر الإنسان عليه في حال السّعة والسّهولة، لا في حال الضّيق والشِّدَّة، [٢].

وقال ابن منظور في تعريف اليسر:

اليسر: اللّين والانقياد، والميسرة: السّعة والغنى.

وتيسير الشيء واستيسر: تسهّل، واليسر: ضدّ العسر[٣].

وأختم أقوال العلماء في تعريف اليسر والوسع بما قاله الزمخشري: "إن الوسع هو ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، ولا يحرج فيه، فالله لا يكلّف النّفس إلا ما يتّسع فيه طوقها، ويتيّسر عليه دون مدى غاية الطّاقة والمجهود، فقد كان في طاقة الإنسان أن يصلّي أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من شهر، ويحجّ أكثر من حجّة" [٤].

هذا ما يتعلّق بتعريف اليسر والوسع، أمّا رفع الحرج فإنَّ تعريفه يستلزم تعريف الحرج أولا:

قال في لسان العرب: الحرج: الإثم.

وقال أحمد بن يحيى: والتّحريج: التّضييق.

وقال ابن الأثير: الحرج في الأصل: الضيق.

وقيل: الحرج: أضيق الضّيق، ونسبه للزَّجَّاج في موضع آخر. وحرَّج فلان على فلان: إذا ضيَّق عليه [٥].

هذا تعريف الحرج في اللغة، أمَّا في الاصطلاح: (كل ما أدَّى إلى مشقَّة زائدة في البدن أو النَّفس أو المال حالا أو مآلا) [٦].

---

١ – انظر: مدارج السالكين (٢ / ١٠٥).

٢ – انظر: تفسير الرازي (١٤ / ٧٩).

٣ – انظر: لسان العرب مادة (يسر).

٤ – انظر: الكشاف (١ / ٤٠٨).

٥ – انظر: لسان العرب مادة (حرج).

٦ – انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ص (٤٧).

قال ابن عباس في قوله- تعالى-: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [1]. توسعة الإسلام، ما جعل الله من التّوبة والكفّارات [2].

وقال الضّحاك في تفسير الآية: جعل الدّين واسعًا ولم يجعله ضيِّقًا [3].

وقال مقاتل بن حيان: لم يضيق الدّين عليكم ولكن جعله واسعًا لمن دخله، وذلك أنَّه ليس مما فرض عليهم فيه إلا وقد ساق إليهم عند الاضطرار فيه رخصة [4].

وبعد هذا التّعريف للحرج يكون رفع الحرج هو:

(إزالة ما يؤدّي إلى هذه المشاقّ الموضَّحة في التَّعريف. ويتوجه الرّفع والإزالة إلى حقوق الله - سبحانه وتعالى - لأنَّها مبنيَّة على المسامحة، ويكون ذلك إمّا بارتفاع الإثم عند الفعل، وإمَّا بارتفاع الطّلب للفعل، وحينما يرتفع كل ذلك ترتفع حالة الضّيق التي يعانيها المكلّف حينما يستشعر أنَّه يقدم على ما لا يُرضي الله، وهذا هو الحرج النفسيّ والخوف من العقاب الأخرويّ.

كما يرتفع الحرج الحسيّ حينما يكون التّكليف شاقًّا فيأتي العفو من الله - سبحانه وتعالى - إمَّا بالكفّ عن الفعل الموقع في الحرج، وإمَّا بإباحة الفعل عند الحاجة إليه) [5].

ففي قوله، عليه السلام، حينما سئل عن التّرتيب بين أعمال يوم النّحر من الرّمي والحلق والطّواف والنَّحر: « افعل ولا حرج » [6]. إباحة لترك التّرتيب بين هذه الشَّعائر، ورفع للإثم عمَّن لم يرتّب كترتيب رسول الله، صلى الله عليه وسلم في نسكه حينما قال: « خذوا عنِّي مناسككم » [7]

وبعد أن تبيَّن لنا معنى التّيسير والوسع ورفع الحرج أذكر الأدّلة على ذلك من الكتاب والسنَّة، وأقوال السَّلف في ذلك:

ثانيا: أدلة التيسير والتخفيف:

---

[1] الحج: من الآية ٧٨

[2] - انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٠٦).

[3] - انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٠٧).

[4] - انظر: الدر المنثور (٤ / ٣٧٢).

[5] - رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ص(٤٨).

[6] -- أخرجه البخاري (٢ / ١٨٧، ١٨٨). ومسلم (٢ / ٩٤٨، ٩٤٩) رقم (١٣٠٦).

[7] - أخرجه مسلم وغيره برقم (١٢٩٧).

قال الله – تعالى–: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [1].

وقال – سبحانه –: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [2].

وقال عز وجل ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ [3].

وقال في سورة الانشراح: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [4].

وفي سورة الطّلاق: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [5].

وقال – جلّ من قائل –: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [6].

هذه بعض الآيات التي تفيد التّيسير على هذه الأمّة، وقد ذكر المفسّرون في تفسيرهم لهذه الآيات أن الله أراد لهذه الأمّة اليسر ولم يرد لها العسر [7].

ثالثا: أدلة رفع الحرج

من أقوى الأدلّة وأصرحها في الدّلالة على رفع الحرج قوله – تعالى–: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [8].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: جعل الدّين واسعًا ولم يجعله ضيّقًا [9].

وقال ابن كثير: أي: ما كلّفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا [10].

وقال– سبحانه–: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [11].

وفي سورة التوبة: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ

---

[1] البقرة: من الآية ١٨٥

[2] النساء:٢٨

[3] الأعلى:٨

[4]– الشرح:٥، ٦

[5]– الطلاق: من الآية ٤

[6]– الطلاق: من الآية ٧

[7]– انظر: تفسير الطبري (٢ / ١٥٦) وتفسير ابن كثير (١ / ٢١٧)

[8]– الحج: من الآية ٧٨

[9]– انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٢٠٧).

[10]– انظر: تفسير ابن كثير (٣ / ٢٣٦).

[11] المائدة: من الآية ٦

وَرَسُولِهِ ﴾ [1].

وقال في سورة الأحزاب: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ [2].

وفي سورتي الفتح والنور: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾[3]

ففي هذه الآيات دلالة ظاهرة على رفع الحرج على هذه الأمَّة، وأنَّ الله لم يجعل في التّشريع حرجًا.

[1] التوبة: من الآية ٩١

[2] الأحزاب: من الآية ٣٨

[3] النور: من الآية ٦١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رابعا: أدلة عدم التكليف بما يضاد الوسع والطاقة:

الأدلة من القرآن:

- قال- سبحانه- في سورة البقرة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1]. وفي الآية نفسها: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [2]. وكذلك قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ [3]. قال الشيخ الدكتور / صالح بن حميد: (والوسع ما يسع الإنسان فلا يعجز عنه ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، فقوله- تعالى-: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي: لا يحملها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه أو يحرجها دون مدى غاية الطّاقة، فلا يكلّفها بما يتوقّف حصوله على تمام صرف القدرة، فإنَّ عامة أحكام الإسلام تقع في هذه الحدود، ففي طاقة الإنسان وقدرته الإتيان بأكثر من خمس صلوات وصيام أكثر من شهر، ولكنَّ الله جلّت قدرته ووسعت رحمته أراد بهذه الأمَّة اليسر ولم يرد بها العسر) [4].
- ومن الأدلّة على أنَّ التكليف بحدود الوسع والطّاقة قوله- تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [5]. ويقول- سبحانه- في سورة المؤمنون: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (المؤمنون: من الآية ٦٢).
- وكذلك في سورة الطلاق: ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [6].

هذه هي الآيات التي وردت مبيّنة أنَّ التّكليف بحسب الوسع والطّاقة، ولا شكَّ أنَّ الأحكام الشَّرعية إذا كانت مطلوبة في حدود الوسع والاستطاعة دون بلوغ غاية الطّاقة، ففي ذلك الدّلالة الظّاهرة على أن الحرج مرفوع، وأنَّ اليسر سمة هذا الدّين، والتّوسعة على العباد خاصِّيَّة من خصائصه، فهي الحنيفيَّة السّمحة والوسطيَّة التي لا عَنَتَ فيها ولا مشقَّة [7]

---

[1] البقرة: من الآية ٢٨٦

[2] البقرة: من الآية ٢٨٦

[3] البقرة: من الآية ٢٨٦

[4] – انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ص (٦٩)

[5] الأعراف:٤٢

[6] الطلاق: من الآية ٧

[7] – انظر: رفع الحرج ص (٧٣).

الأدلة من السنة النبوية:

جاءت الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم تبين يسر هذا الدِّين، وتحمل النّهي عن التّشدّد والتّعمّق والغلوّ، بل ترك، صلى الله عليه وسلم كثيرًا من الأعمال رحمة بأمّته وخشية من أن يشقّ عليها، وهذا يخالف يسر الدّين وسماحته

وسأذكر بعض الأحاديث التي تؤكّد حقيقة يُسر الإسلام وبُعده عمَّا يُخرِجُ عن منهج الوسطيَّة.

وقد تنوَّعت أساليب رسول الله صلى الله عليه وسلم في توجيه أمّته لهذه الحقائق وتأصيلها

فنجد في الأحاديث ما جاء صريحًا في بيان أنَّ هذا الدّين دين اليسر والسّماحة، وأنَّه صلى الله عليه وسلم بُعِثَ بذلك.

- فقد روت عائشة – رضي الله عنها– أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ الله لم يبعثني معنّتًا ولا متعنِّتًا، ولكن بعثني معلِّمًا ميسِّرًا » [١].
- وقال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: « يَسِّرا ولا تُعسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا » [٢].
- وقال، صلى الله عليه وسلم مبَيِّنًا حقيقة هذا الدين: « إنَّ الدّين يسر ولن يشادّ الدّين أحد إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا » [٣].
- وروى ابن عباس عنه، صلى الله عليه وسلم « أنه قال لما قيل له: يا رسول الله أي الأديان أحبّ إلى الله؟ قال: "الحنيفيَّة السَّمحة » [٤]. وجاء في روايات أخرى: « ولكني بُعثت بالحنيفيَّة السّمحة » [٥]. وفي رواية: « إنَّ أحبّ الدّين إلى الله الحنيفيَّة السّمحة » [٦].

- وقال صلى الله عليه وسلم في حديث محجن بن الأدرع: « إنَّ الله تعالى رضي لهذه الأمَّة اليسير وكره لها العسير.. » [٧].

وهذه الأحاديث صريحة في بيان يسر هذا الدّين وسماحته.

---

١ – أخرجه مسلم برقم (١٤٧٨).

٢ – أخرجه البخاري (٥ / ١٠٨). ومسلم برقم (١٧٣٣).

٣ – أخرجه البخاري (١ / ١٥).

٤ – أخرجه أحمد (١ / ٢٣٦)، وحسنه الألباني في الأدب المفرد برقم ٢٨٧.

٥– صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٢٩٢٤.

٦ – قال الهيثمي في المجمع (١ / ٦٥). رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري منكر الحديث.

٧ – قال الهيثمي في المجمع (٤ / ١٨): رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٦٣٥ وقال: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

ونجد من أساليبه صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب ما ورد في النّهي عن الغلوّ والتنطّع.

- فعن ابن عبّاس – رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « إيَّاكم والغلوّ في الدّين فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدّين » [1].
- وعن ابن مسعود – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم « هلك المتنطّعون » قالها ثلاثًا [2].
- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم كان يقول: « لا تُشّددوا على أنفسكم فيشدِّد الله عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصَّوامع والدّيارات رهبانيَّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم » [3].
- ومن أساليبه– أيضًا– صلى الله عليه وسلم ترك العمل مخافة المشقَّة على أمَّته: ومن ذلك قصَّة صلاة التَّراويح، « حيث صلى، صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في رمضان فصلَّى بصلاته ناس، ثم صلَّى القابلة فكثر النّاس، ثم اجتمعوا في الليلة الثَّالثة أو الرّابعة فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال: "قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنيّ خشيت أن تُفرض عليكم » وفي الرّواية الأخرى: « فتعجزوا عنها » [4].
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: « لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسّواك عند كل صلاة » [5]. بل إنَّه يعمل العمل وقد يعيد النظر في ذلك مخافة المشقَّة على أمّته: فقد روت عائشة – رضي الله عنها– « أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم خرج من عندها وهو مسرور ثم رجع إليها وهو كئيب، فقال: "إنيّ دخلت الكعبة، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها، إنيّ أخاف أن أكون قد شققت على أمّتي » [6].
- ووصل من رحمته صلى الله عليه وسلم وتيسيره على أمّته وكرهه للمشقَّة عليهم ما يفيده هذا الحديث الذي رواه أبو قتادة، حيث قال، صلى الله عليه وسلم « إنيّ لأقوم إلى الصّلاة وأنا أريد أن أطوّل فيها فأسمع بكاء الصّبي

---

[1] – أخرجه النسائي برقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩)، وأحمد (١ / ٢١٥، ٣٤٧)، وصححه الحاكم (١ / ٤٦٦)، ووافقه الذهبي، وصححه – أيضًا– الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٢٨٣)، وصحيح الجامع رقم (٢٦٨٠).

[2] – أخرجه مسلم برقم (٢٦٧٠).

[3] – أخرجه أبو داود برقم (٤٩٠٤)،وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم ٦٢٣٢ ثم راجع الشيخ وصححه، انظر جلباب المرأة المسلمة ص٢٠.

[4] – أخرجه البخاري (١ / ٢٢٢). ومسلم واللفظ له (١ / ٥٢٤) رقم (٧٦١).

[5] – أخرجه البخاري (١ / ٢١٤). ومسلم (١ / ٢٢٠) رقم (٢٥٢).

[6] – أخرجه أبو داود (٢ / ٢١٥) رقم (٢٠٢٩). وابن ماجه (٢ / ١٠١٨، ١٠١٩) رقم (٣٠٦٤). وضعّفه الألباني كما في ضعيف الجامع رقم (٢٠٨٥).

فأتجوّز كراهية أن أشقّ على أمّه » [1].

ومن أساليبه في ذلك نهيه، صلى الله عليه وسلم لأصحابه عن أعمال تؤدي إلى المشقَّة والعسر:

- « فقد جاء رجل إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقال: إنّي لأتأخرّ عن صلاة الصّبح من أجل فلان مما يطيل بنا » قال أبو مسعود الأنصاري راوي الحديث: فما رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قطّ أشدّ ممّا غضب يومئذ، فقال: « أيّها الناس إن منكم منفّرين، فأيّكم أمَّ النّاس فليوجز، فإنَّ من ورائه الكبير، والضعيف، وذا الحاجة » [2].
- « ودخل مرَّة المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ فقالوا: حبل لزينب، فإذا فترت تعلَّقت به، فقال، صلى الله عليه وسلم حلّوه، ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد » [3].

ومما سبق من هذه الأحاديث يتبيَّن لنا سماحة هذا الدّين ويسره، وبعده عن الغلوّ والتّشدّد وما يؤدّي إلى المشقَّة والعسر.

- **أقوال السلف:**

لأبين أنَّ قضيّة يسر هذا الدّين وسماحته ووسطيَّته أصبحت منهجًا عمليًّا، استجابة لله ورسوله، فسأذكر بعض ما ورد عن السّلف في هذا الباب:

- يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مبيّنًا منهج الصّحابة في ذلك: "من كان منكم مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، فإنَّ الحيّ لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمَّة، أبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلّفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، صلى الله عليه وسلم ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتّبعوهم على أثرهم وسيرتهم، فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم" [4].
- وقال- أيضًا- إيَّاكم والتّنطّع، إيَّاكم والتّعمّق، وعليكم بالعتيق [5].
- وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كنّا عند عمر رضي الله عنه فسمعته يقول: "نهينا عن التّكلّف" [6].
- وقال الإمام الشعبي: إذا اختلف عليك أمران فإنَّ أيسرهما أقربهما إلى الحقّ لقوله- تعالى-: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ

---

[1] – أخرجه البخاري (١ / ١٧٣). وأبو داود (١ / ٢٠٩) رقم (٧٨٩).

[2] – أخرجه البخاري (١ / ١٧٢، ١٧٣). ومسلم (١ / ٣٤٠) رقم (٤٦٦، ٤٦٧).

[3] – أخرجه البخاري (٢ / ٤٨). ومسلم (١ / ٥٤٢) رقم (٧٨٤).

[4] – إغاثة اللهفان (١ / ١٥٩) ورفع الحرج ص (٨٧).

[5] – انظر: إغاثة اللهفان (١ / ١٥٩) ورفع الحرج ص (٨٨).

[6] – انظر إغاثة اللهفان (١ / ١٥٩) ورفع الحرج ص (٨٨).

الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [1].

- وقال معمر وسفيان الثوري: إنما العلم أن تسمع بالرّخصة من ثقة. فأمَّا التّشديد فيحسنه كل أحد [2].

- وقال إبراهيم النخعي: إذا تخالجك أمران فظنَّ أن أحبهما إلى الله أيسرهما [3]

- وروي عن مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز: أفضل الأمرين أيسرهما لقوله- تعالى-: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ [4] [5].

والآثار في هذا كثيرة جدًّا، وما مضى فيه الكفاية - إن شاء الله-.

فإنَّ المتأمّل لهذه الآثار من الكتاب والسنَّة وأقوال سلف الأمَّة يلحظ أن هذا المعنى غائب عن واقع وفهم كثير من المسلمين، وقليل منهم من يدرك هذه الحقيقة ويتعامل معها، حيث إنَّه يوجد هناك من لو سئل عن هذا الأمر لأجاب الإجابة الصّحيحة، ولكن عند التأمّل في واقعه وتعامله والتزامه ومنهجه لا نجد إلا الإفراط أو التّفريط.

والعجب أن بعض هؤلاء كأنَّه أغير على دين الله من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والله- جلّ وعلا- يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [6]. ويقول: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [7]. ويقول: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [8]. وهذا لا يعني- أيضًا- التّفريط والتّساهل والتّهاون بحجّة أن هذا الدّين يسر، وهو ما يبرّر به كثير من المقصّرين والعصاة أفعالهم، فإنَّ تحديد مفهوم اليسر والتّوسعة إلى الشّارع لا إلى أهواء النّاس ورغباتهم وما ألفوه ودرجوا عليه، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلوّ ولا جفاء ثمَّ إن قضيَّة التّيسير والتّوسعة قضيَّة منهج متكامل وليست تتعلّق بجزئيَّة أو جزئيَّات كما قد يتصوَّر بعض النَّاس. وبهذا التّعريف والشّمول ندرك أنَّ هذا الأمر يندرج في منهج الوسطيَّة التي هي سمة من سمات هذه الأمَّة،

---

[1] - البقرة: من الآية ١٨٥

[2] - انظر: جامع بيان العلم وفضله ص (٢٨٥)، ورفع الحرج ص (٩٢).

[3] - انظر: رفع الحرج ص (٩٢)، والآثار لأبي يوسف ص (١٩٦).

[4] -البقرة: من الآية ١٨٥

[5] - انظر: المغني (٣ / ١٥٠)، ورفع الحرج ص (٩٢).

[6] الحج: من الآية ٧٨

[7] البقرة: من الآية ١٨٥

[8] النساء:٢٨

وخاصيَّة من خصائصها، فلن نستطيع أن ندرك حقيقة الوسطيَّة إلا إذا فهمنا سمة اليسر والتّوسعة ورفع الحرج، وإلا تصبح الوسطيَّة معنى مفرغًا من حقيقته، وقولا نظريًّا لا وجود له في الواقع، وبذلك يفقد هذا الدّين خاصيَّة لها أثرها في حياة النَّاس ومآلهم.

رابعًا البينيَّة:

سبق أن بينت أنَّ البينيَّة من لوازم وصفات الوسطيَّة، حيث ذكرت ذلك مختصرًا فإنّي أزيده هنا وضوحًا وبيانًا فأقول: إنَّ إطلاق لفظ البينيَّة يدلّ على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء، وقد يكون ذلك حسًّا أو معنى. وعندما نقول: إنَّ (الوسطيَّة) لا بدّ أن تتَّصف بالبينيَّة، فإنَّنا لا نعني مجرَّد البينيَّة الظَّرفيَّة، بل إنَّ الأمر أعمق من ذلك، حيث إنَّ هذه الكلمة تعطي مدلولا عمليًّا على أن هذا الأمر فيه اعتدال وتوازن وبُعد عن الغلوّ والتّطرف أو الإفراط والتَّفريط. وبهذا تكون البينيَّة صفة مدح، لا مجرَّد ظرف عابر. ومن هذا التَّفسير جاءت علاقة البينيَّة بالوسطيَّة، ولأهميَّة هذه القضيّة فسأذكر بعض أقوال العلماء، ومن قال بذلك منهم:

- الإمام الطبري: حيث قال في تفسيره: وأنا أرى أنَّ الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء، الذي هو بين طرفين، مثل وسط الدّار، وأرى أن الله- تعالى ذكره- إنَّما وصفهم بأنَّهم وسط لتوسّطهم في الدّين، فلا هم أهل غلوّ فيه، غلوّ النّصارى الذين غلو بالتَّرهّب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبيائهم، وكذبوا على ربّهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسّط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها [1].

- شيخ الإسلام ابن تيمية: حيث قال في العقيدة الواسطيَّة: فإنَّ الفرقة الناجية أهل السنَّة والجماعة يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمَّة، كما أنَّ الأمَّة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله- تعالى- بين أهل التّعطيل الجهميَّة، وأهل التَّمثيل المشبّهة،وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبريَّة والقدريَّة وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيديَّة من القدريَّة وغيرهم. وفي باب أسماء الإيمان والدّين بين الحروريَّة والمعتزلة وبين المرجئة والجهميَّة. وفي أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج [2].
- رشيد رضا حيث قال: قالوا: إنَّ الوسط هو العدل والخيار، وذلك أنَّ الزّيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنّقص

---

[1] – انظر: تفسير الطبري (٢ / ٦).

[2] – انظر: شرح العقيدة الواسطيَّة ص (١٢٤).

عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتَّفريط ميْل عن الجادّة القويمة، فهو شرّ ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أي المتوسط بينهما. ثم ذكر قولا لأستاذه محمد عبده حيث إنَّه يرى- أيضًا- أنَّ الوسط هو المتوسّط بين أمرين مع كونه خيارًا [1].

- عبد الرحمن بن ناصر السّعدي، وانظر ما قاله في رسالة القواعد الحسان لتفسير القرآن، القاعدة (٢٤): وبالجملة فإن الله العليم الحكيم أمر بالتوسّط في كل شيء بين خلقين ذميمين، تفريط وإفراط، وقال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [2] [3].

- عمر سليمان الأشقر، فقد اعتبر الوسطيَّة هي الأمر الوسط بين أمرين متطرّفين، حيث قال: من المعضلات التي لم ينجح المشرّعون من البشر في حلّها التّطرّف في التّشريع، فبعض القوانين تجنح إلى أقصى اليسار، وبعض آخر يجنح إلى أقصى اليمين، وقلّما يوفّق واضعو القوانين إلى التوسّط والاعتدال. وقال في موضع آخر: وإذا نظرت إلى الشّريعة الإسلامية وجدتها وسطًا في كل أحكامها، فأحكامها بين الغالي والجافي [4]. ومن خلال ما سبق يتَّضح لنا أن صفة البينيَّة أمر أساسي في تحديد الوسطيَّة، وأنَّ هؤلاء العلماء والكُتّاب اعتبروا هذا الأمر قضيَّة مسلَّمة في تحديدهم، وتعريفهم للوسطيَّة.

وهذه البينيَّة ليست مجرّد الظّرفيَّة، وإنَّما هي التي تعطي الدَّلالة على التّوازن والاستقامَّة والعدل، ومن ثمَّ الخيريَّة، فهذه هي الوسطيَّة الحقَّة

خامسا العدل والحكمة:

- أمّا العدل فقد صحّ فيه الحديث عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم حيث فسَّر قوله- تعالى-: ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [5] بقوله: عدولا: وذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري، حيث قال صلى الله عليه وسلم « والوسط العدل » [6]. وفي رواية الطبري: قال: « أمَّة وسطًا » عدولا [7].

قال القرطبي: والوسط: العدل، وأصل هذا أنَّ أحمد الأشياء أوسطها، ثم قال: قال علماؤنا: أنبأنا ربنا- تبارك وتعالى- في كتابه بما أنعم علينا من تفضيله لنا باسم العدالة، وتولية خطير الشهادة على جميع خلقه، فجعلنا أولا

---

[1] - انظر: تفسير المنار (٢ / ٤).

[2] البقرة: من الآية ١٤٣

[3] - انظر: القواعد الحسان ص (٩٠).

[4] - انظر: خصائص الشريعة الإسلامية ص (٨٦، ٨٧)

[5] البقرة: من الآية ١٤٣

[6] الحديث أخرجه البخاري برقم ٣١٦١ والترمذي برقم (٢٩٦١)، وغيرهم.

[7] - انظر: تفسير الطبري (٢ / ٦).

مكانًا، وإن كنَّا آخرًا زمانًا، كما قال عليه السلام: « نحن الآخرون الأولون »[1]. وهذا دليل على أنَّه لا يشهد إلا العدول، ولا ينفذ قول الغير على الغير إلا أن يكون عدلا[2].

وممّا يدلّ على أنَّ العدل من ملامح الوسطيَّة قول الطبري: وأمَّا التّأويل فإنَّه جاء بأنّ الوسط العدل، وذلك معنى الخيار، لأنَّ الخيار من النَّاس عدولهم[3].

ثم ساق الأدلّة من السنَّة وأقوال السّلف في ذلك. قال الأستاذ رشيد رضا: إنَّ في لفظ الوسط إشعارًا بالسببيَّة، فكأنَّه دليل على نفسه، أي: أنَّ المسلمين خيار وعدول لأنَّهم وسط[4]. وإذا كان الوسط شيء بين شيئين، فإنَّه يلزم لأن يكون وسطًا شرعيًا أن يكون عدلا، لأنَّه إذا لم يكن كذلك مال وانحرف إلى أحد الطّرفين، إمَّا إلى الإفراط، وإمَّا إلى التّفريط، وهذا خروج عن حقيقة العدل، ومن ثمَّ خروج عن الوسط، ولذلك جاءت صفة الحكمة ملمحًا من ملامح الوسطيَّة،

وبيان هذا: أنَّ التوسّط هو توسّط معنوي، وتحديد هذا التوسّط يكون بمراعاة جميع الأطراف، تحقيقًا للمصالح، ودرءًا للمفاسد، وهذه هي الحكمة الشّرعيَّة. وبعبارة أخرى: فإنَّ الوسطيَّة أمر نسبي، يخضع تحديده لعوامل عدَّة لا بد من مراعاتها، ولا يتحقَّق ذلك إلا بإتقان الحكمة[5].

- **ولبيان ذلك أكثر**: أذكر بعض ما ورد في الحكمة من أقوال المفسّرين، وتعريفات العلماء. قال عبد الرحمن بن سعدي: الحكمة: هي العلوم النّافعة، والمعارف الصّائبة، والعقول المسدّدة، والألباب الرزينة، وإصابة الصّواب في الأقوال والأفعال، ثم قال: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محلّ الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام.[6]..

وكلامه في غاية الدّلالة على صلة الحكمة بالوسطيَّة.

- قال ابن القيّم: وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك: إنّها معرفة الحقّ والعمل به، والإصابة في القول والعمل.

وقال في موضع آخر: هي: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[7].

وقوله: (على الوجه الذي ينبغي) من أقوى دلالات الوسطيَّة.

---

[1] – أخرجه البخاري (١ / ٢١١). ومسلم (٢ / ٥٨٥) رقم (٨٥٥).

[2] – انظر: تفسير القرطبي (٢ / ١٥٥).

[3] – انظر: تفسير الطبري (٢ / ٧).

[4] – انظر: تفسير المنار (٢ / ٤).

[5] – انظر الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص١٣٦.

[6] – انظر: تفسير ابن سعدي (١ / ٣٣٢).

[7] – انظر: مدارج السالكين (٢ / ٤٧٩).

وقال في موضع آخر: الحكمة: أن تعطي كل شيء حقّه، ولا تعدّيه حدّه، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخّره عنه [1].

ونخلص ممّا سبق: أن الحكمة لا بد من اعتبارها عند تحديد معنى الوسطيَّة، بل إن الالتزام بالوسطيَّة وعدم الجنوح إلى الإفراط أو التّفريط هو عين الحكمة وجوهرها.

وذلك أنَّ الخروج عن الوسطيَّة له آثاره السلبيَّة، إمَّا عاجلا أو آجلا، وهذا يُخالف الحكمة ويُنافيها.

ومن الأمثلة التي توضّح ذلك:

- أمر الابن بالصّلاة لسبع سنين، وضربه عليها ضربًا غير مبرِّح بعد بلوغ العاشرة، فإنَّنا نجد التوسّط في هذه القضية ظاهرًا بين الإفراط وبين التّفريط، وهذه هي الحكمة، حيث فرَّق بين من لم يبلغ السّابعة، وبين من بلغها، وكذلك من بلغ العاشرة يختلف أمره، ثم من أدرك الحلم يختلف عمَّا سبق.... وهكذا، فقد نزّل الأمور منازلها، ووضع الأشياء مواضعها.

وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [2].

أولا: الخيريَّة: وهذا يتَّضح من قوله صلى الله عليه وسلم « إنّي لأخشاكم لله، وأتقاكم له » ثمَّ يبيّن أنَّه يأخذ بالوسطيَّة: فيصوم ويفطر، ويصلّي وينام، ويتزوّج النّساء، فلولا أن هذا العمل لا يعارض الخشية والتّقوى، بل يطّرد معهما لم يذكرها في هذا المقام، واستخدم أفعل التفضيل "أخشاكم – أتقاكم" وهي أعلى درجات الخيريَّة. فاتَّضح أن هذه الوسطيَّة التي يرشدنا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثّل الخشية والتّقوى، وهذه هي الخيريَّة في أفضل صورها.

ثانيًا: الاستقامة: وتبرز هذه الحقيقة في قوله صلى الله عليه وسلم « فمن رغب عن سنَّتي فليس منّي » إذن فالاستقامة هي بأن يصوم ويفطر، وينام ويرقد، ويتزوّج النّساء، والخروج عنها انحراف عن الاستقامة، فهذا العمل الذي يمثّل الوسطيَّة، لا نقول إنَّه لا يُعارض الاستقامة؛ بل هو الاستقامة بعينها، حيث جعله الرسول صلى الله عليه وسلم من سنَّت، وهل الاستقامة إلا الالتزام بسنَّته والأخذ بها؟.

ثالثًا: اليسر ورفع الحرج: وهذا أمر جلّي وبيّن، فنحن بين عملين وردا في هذا الحديث: تبتّل وامتناع عن النّساء والزّواج مع ما في ذلك من مشقَّة وحرج. ويقابله تزوّج النّساء مع ما في ذلك من قضاء الوطر، والمودّة والرّحمة، وإنجاب الأولاد. الأول يمثل الانحراف عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم مع ما فيه من مشقّة وعسر،

---

[1] – انظر مدارج السالكين (٢ / ٤٧٨).

[2] – البقرة: من الآية ٢٦٩

والثاني يمثّل الوسطيَّة مع ما فيه من تخفيف وتيسير ورحمة، ودفع للحرج. وقل مثل ذلك في الصّيام، والقيام. إذن فالوسطيَّة في اليسر ورفع الحرج، وليس في التّكلّف والمشقَّة والعَنَت.

رابعًا: البينيَّة: والأمثلة تبرهن على ذلك: ١- امتناع عن الزّواج مطلقًا - إفراط. ويقابله التَّفريط وهو اتّباع الشّهوات دون وازع أو قيد. وبينهما: قضاء الشّهوة والوطر، ولكن ضمن الضّوابط الشّرعيَّة، ويتمثَّل في الزّواج وهذا هو الوسط، وهو المشروع. ٢- صيام دائم – إفراط. الإفطار دائمًا – تفريط. الصيام أحيانًا - والفطر أحيانًا - وسط بين الأمرين - وهو المشروع في ضوابطه الشرعيَّة. ٣- القيام مطلقًا – إفراط. النوم مطلقًا – تفريط. القيام والنوم حسب الطّاقة ودون تكلّف – وسط، وهذا هو المشروع. **خامسًا: العدل والحكمة:** وتبرز صفة العدل بالنّظر إلى مطالب النّفس وواجبات العبادة، فقد جعل لكلٍّ منها نصيبًا، فعدل بين حقّ الرّبّ وحقّ النّفس، ولم يكن في ذلك حيف أو شطط، وحاشاه من ذلك.

أمّا الحكمة: فإنَّه بالنّظر إلى قدرة النَّفس ومدى تحمّلها، وغفلة هؤلاء القوم عن قدرتهم في فورة الحماس والاندفاع، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم يضع الأمور مواضعها، ويجعلها في مسارها الطّبيعي، فإنَّ " أحبّ العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه" [1] ولو التزم هؤلاء الرّجال بما قالوا لتعبوا عاجلا أو آجلا. ثمَّ إنَّ هذا الفعل نفسه مخالفة لصريح الحكمة وحقيقتها، وذلك أن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، والإصابة في القول والعمل، وهذا هو عين ما وجَّه إليه صلى الله عليه وسلم.

ومن خلال هذا التّطبيق العمليّ لضوابط الوسطيَّة وملامحها في ضوء هذا الحديث، يتَّضح المراد ممَّا يساعد على فهم الوسطيَّة، واستنباطها، وتطبيقها في الواقع المعايَش.

---

[1] - أخرجه البخاري (١ / ١٦). ومسلم (١ / ٥٤٢) رقم (٧٨٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المعيار العام للوسطية:

الوسطية ليست سائبة المعيار، بل معيارها في غاية الانضباط، فهو داخل الأُمّة ذاتها، لأن الفِرَق الضالة التي تدّعي وَصْلًا بالأمة الوسط تبلُغ اثنتين وسبعين فِرقة، وكلّها في النار، والفِرقة الناجية هي الثالثة والسبعون، وهي التي تُمثِّل الوسطية، لِأَنها التي مدَحها النبي صلى الله عليه وسلّم، وذكَر أنها الجماعة، أي معظم الأمة، لِأن الفِرَق الأخرى، وإن كان عددها فوق السبعين، إلا أنّ أتْباعها قلّة يسيرة بالنسبة لمجموع الأمة.

وقد بيّن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض طرق هذا الحديث[1] معيار الوسطية للفرقة الناجية عندما قال: (ما أنا عليه وأصحابي)، وهذا المعيار يلتقي مع قوله تعالى عن الصحابة– رضوان الله عليهم –: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[2]، ومع الحديث الشريف: (إنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثات الأمور، فإن كلّ مُحْدَثةٍ بِدْعة، وكل بِدْعةٍ ضلالة) [3]

فالجماعة هم معظم الأمة، وهم الفِرقة الناجية، وهم أيضا الملتزمون بالسنة، سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنة الخلفاء الراشدين التي أجْمع عليها الصحابة، و مِن هنا جاءت تسمِيَتُهم أهل السنة والجماعة.

فالوسطية ليست كما يظن بعض الناس: أنْ يجعل نفسه وسطًا ومِحْورًا في اجتهاداته، ثم يرى أن من خالَفه نحو التشدُّد بالنسبة لرأيه فقد أفْرَط، ومن خالَفَهُ نحو التفلُّت فقد فرّط.. لِأن معنى ذلك أن تتَعدَّد حالات الوسطية بقدْرعَدَد الزاعمين ولا تَنضبِط الوسطية حينئذ.. ولكن الوسطية هي الالتزام بالكتاب والسنة على فهْم وتطبيق الصحابة. وفهْم الصحابة وتطبيقهم محفوظان في كتب الحديث والآثار، وبذلك يخرج كل مَن لايحترم مرجعية السنة ومرجعية الصحابة (منهج أهل السنة والجماعة) منها الروافض والاثني عشرية والباطنية وغُلاة المتصوِّفة والخوارج وغُلاة الاعتزال وغُلاة علْم الكلام، يخرجون لِأَنهم يرُدُّون كثيرًا من الأحاديث الثابتة في السنة بشأن العقيدة والشريعة، وبشأن صفات الله على الخصوص، ويَرُدّون فهْم الصحابة في العقيدة، وكثيرًا من تطبيقهم في الشريعة، ويلحق بهؤلاء فِرَق القاديانية والبهائية وغيرهم من فِرَق الأفكار المستوردة. ومن أمثلة الغلوّ التي يجب على المربّين اجتثاثها: العصبيات المذهبية والقبلية والشعوبية والعنصرية والنسبية الجاهلية، والانتشار الواسع للغيبة والسخرية واللّمْز وسوء الظن والتجسس على المسلمين، وتقارير النميمة، والتهاجر، والشدّة على المخالِف..إلخ

---

[1] – أعني حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين و سبعين ملة و إن هذه الملة ستفترق على ثلاث و سبعين ثنتان و سبعون في النار و واحدة في الجنة و هي الجماعة " رواه أبو داود برقم: (٤٥٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٦٤١)، وفي رواية عند الترمذي: قالوا: ومن هي يا رسول الله قال: " ما أنا عليه وأصحابي " حسنها الألباني في صحيح الجامع برقم:(٥٣٤٣)

[2] – التوبة آيه: ١٠٠.

[3] – رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني في سنن أبي داود برقم ٤٦٠٧.

ومن أمثلة التساهل والتفلُّت التي يجب العمل على إزالتها: قطْع الأرحام، والاستخفاف بالوالدين، وبذَوِي العلْم و السن والفضل، وانعدام الذلة على المسلمين، وتبجيل المنحرفين والكافرين، والسكوت عن المنكرات وإهمال النصيحة، وتضييع الأوقات والسهر، واللعب واللهو المذموم..إلخ

فمعيار الوسطية هو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما سبق، والمرجع في تحديد المعيار في كل زمان ومكان هم طليعة الأمة، وهم علماء أهل السنة والجماعة، قال عليه الصلاة والسلام: (العلماء ورثة الأنبياء)[1]، وقال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[2]. وقال جلّ وعلا: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)[3].، فإذا اتفق هؤلاء العلماء على حكْم شرعي، فلا بدّ لمن يريد الوسطية من الأخذ به، وإذا اختلفوا دون تشنيع جمهورهم على بعض الأقوال، فيمكن اختيار قول من أقوالهم، فإجماعهم حجة، وعند اختلافهم فكلّهم مرجعية، ويمكن الاختيار من أقوالهم، أما عند تشنيع معظمهم على قولٍ فلا يجوز الأخذ به، لِأنه زلَّة وشذوذ، وبعيد عن منهج الوسطية.

قال تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا)[4].

تم بحمد الله،، وبالله التوفيق،،

٢٧/ رمضان /١٤٤٠

المدينة المنورة

وكتبه/ أبو همّام: سلطان بن علي بن ثابت الجرادي

للتواصل: Email / sultan772250@gmail.com

ج/ 00966509652303

---

[1] – رواه أحمد وغيره من أصحاب السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٦٢٩٧.

[2] – المجادلة من الآية ١١.

[3] – النحل من الآية ٤٣.

[4] – النساء الآية ١١٥.

شكر وعرفان

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الله تعالى على فضله، وكرمه، وتوفيقه، وعونه لي بهذا البحث المتواضع، فكل حرف بل وكل كلمة وما قمت به من جهدٍ هو بفضل الله تعالى وتوفيقه وحده، فلك الحمد ربي حمداً يليق بجلالك وعظيم سلطانك..

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لإدارة كلية المسجد النبوي الشريف ممثلة بمديرها والمشرفين عليها وأعضاء هيئة التدريس فيها.. التي يسرت لي هذه المهمة وشجعتني عليه فاللهَ أسأل أن يحفظها وأن يحرسها من كل شرٍّ ومكروه وأن يبارك فيها وينفع بها الإسلام والمسلمين..

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل للوالدين الكريمين، وزوجتي الغالية: الذين أعانوني وشجعوني على هذا العمل.. فجزاهم الله عني وعن الإسلام خيراً، وبارك بهم وأسعدهم في الدارين..آمين،

ثم أشكر كل من أسهم في إخراج هذا البحث سواء كان إسهامًا مباشرًا أو غير مباشر فلهم مني جزيل الشّكر وجميل الدّعاء، والحمد لله أولا وآخرًا.

واللهَ أسأل أن يُوفق الجميع إلى كل ما يُحب ويرضى، وأن يأخذ بناصيتهم للبر والتقوى، وأن يرزقني وإياهم الإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن تجد عيبًا فسدَّ الخللا... جلَّ من لا عيبَ فيه وعلا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- لسان العرب لابن منظور الأنصاري.
٣- القاموس المحيط للفيروز آبادي.
٤- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني.
٥- الصحاح للجوهري.
٦- صحيح البخاري.
٧- صحيح مسلم.
٨- سنن أبي داود.
٩- سنن الترمذي.
١٠- سنن ابن ماجة.
١١- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني.
١٣- السلسلة الصحيحة للألباني.
١٤- المعجم الصغير للطبراني.
١٥- المعجم الأوسط للطبراني.
١٦- مستدرك الحاكم.
١٧- صحيح الترغيب والترهيب للألباني.
١٨- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام.
١٩- ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني.
٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
٢١- شرح صحيح مسلم للنووي.
٢٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري.
٢٣- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير.
٢٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
٢٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي.

٢٦- جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري.
٢٧- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.
٢٨- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.
٢٩- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
٣٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
٣١- الدر المفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.
٣٢- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٣٣- كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي.
٣٤- خصائص الشريعة الإسلامية لعمر بن سليمان الأشقر.
٣٥- الوسطية في الإسلام لعبد الرحمن الميداني.
٣٦- الوسطية في ضوء القرآن الكريم
٣٧- رفع الحرج في الشريعة الإسلامية لصالح بن عبدالله بن حميد.
٣٨- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
٣٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية.
٤٠- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية.
٤١- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.
٤٢- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية.
٤٣- الغلو في الدين لعبدالرحمن بن معلا اللويحق.
٤٤- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة - قسم الكتب